شرح الأربعين النووية

الحديث التاسع والثلاثون

إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي

اللقاء الثاني والأربعون

الحديث التاسع والثلاثون:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ –ﷺ– قَالَ: (إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ) حديث حسن رواه ابن ماجه والبيهقي وغيرهما.

ترجمة الراوي:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا– سبق الحديث عنه في الأحاديث السابقة ... رضي الله عنه وصحابة رسول الله –صلى الله عليه وسلم-.

منزلة الحديث:

قال الإمام النووي رحمه الله: هذا الحديث اشتمل على فوائد وأمور مهمة، جمعت فيها مصنفًا لا يحتمله هذا الكتاب[للنووي]

قال الطوفي رحمه الله: هذا الحديث عام النفع، عظيم الموقع، وهو يصلُحُ أن يسمَّى نصف الشريعة [التعيين في شرح الأربعين].

قال بعض العلماء: ينبغي أن يُعَدَّ نصفَ الإسلام [فتح الباري].

شرح الحديث:

((إِنَّ اللهَ)) تعالى ((تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي))؛ أي: عفا وصفح لأجلي، ((الخَطَأَ)) فعل الشيء من غير قصد، ((وَالنِّسْيَانَ)) هو عدم ذكر الشيء؛ لذهول أو غفلة، وهو معفوٌّ عنه؛ أي: لا إثم فيه،

ولكن رفع الإثم لا ينافي أن يترتب على نسيانه حُكم، كما أن من نسي الوضوء، وصلى ظانًّا أنه متطهر، فلا إثم عليه بذلك، ثم إن تبين له أنه كان قد صلى محدثًا، فإن عليه الإعادة.

((وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ))؛ أي: على فعله أو قوله، فلا إثم على من صدر منه ذنبٌ بالقهر والإجبار عليه.

⇦ويستثنى من الإكراه القتلُ، فلا يباح بالإكراه؛ أي: لو أُكرِهَ رجلٌ على قتل شخصٍ آخر، لا يجوز له ذلك، لأن الإكراه لا يبيح قتل الغير، ولا يمكن ولا يجوز للإنسان أن يستبقي حياته بإتلاف غيره.

📰إن الاسلام هو دين السماحة، ودين الفطرة، وتظهر سماحة الإسلام وتوافقه مع الفطرة الإنسانية السليمة التي خلقها الله تعالى في نفس الإنسان، من خلال التجاوز عن الخطأ الذي يقع فيه الإنسان من غير قصد، وكذلك ما يعتري الانسان من النسيان، وذلك لأن الخطأ والنسيان من الأمور الفطرية التي لا يسلم منها أحد، وهما من أوضح الأدلة على يسر منهج الإسلام وسماحته، كما أنهما دليل على فضل هذه الأمة على غيرها من الأمم، حيث خفف الله عنها ما كان على الأمم قبلها.

📃وقال العلماء في بيان معنى الخطأ والنسيان:

❁الخطأ: أن يرتكب الإنسان العمل عن غير عمد.

❁والنسيان: ذهول القلب عن شيءٍ معلوم من قبل.

❁والاستكراه: أن يكرهه شخص على عمل محرم ولا يستطيع دفعه، أي: الإلزام والإجبار.

✉وهذه الثلاثة أعذار شهد لها القرآن الكريم، أما الخطأ والنسيان فقد قال الله عزّ وجل:(رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا) [البقرة: 286]، وقال الله عزّ وجل: (وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُم) [الأحزاب: 5]. وأما الإكراه: فقد قال الله عزّ وجل: (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْأِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [النحل:106] فرفع الله عزّ وجل حكم الكفر عن المكرَه، فما دون الكفر من المعاصي من باب أولى.

✉وقد كانت الأمم السابقة تؤاخذ على أخطائها، وتحاسب على جميع أفعالها، دون أن تكون مبررات الجهل أو النسيان شفيعة لهم، في حين أن هذه الأغلال قد رفعت عن الأمة الإسلامية، استجابة لدعائهم، ورحمة من الله بهم، كما بين الله تعالى ذلك في قوله تعالى: (رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ) [البقرة: 286]، وفي الصحيحين واللفظ لمسلم: (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ : (وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ) قَالَ دَخَلَ قُلُوبَهُمْ مِنْهَا شَيْءٌ لَمْ يَدْخُلْ قُلُوبَهُمْ مِنْ شَيْءٍ فَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-«قُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَسَلَّمْنَا». قَالَ فَأَلْقَى اللَّهُ الإِيمَانَ فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: (لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا) قَالَ قَدْ فَعَلْتُ (رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا) -قَالَ قَدْ فَعَلْتُ (وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلاَنَا) قَالَ قَدْ فَعَلْتُ).

✉والتجاوز عن الخطأ والنسيان هذا حكم عام، يشمل كل ما فعله المسلم ناسيا، أو مخطئا لجهله بالحكم، أو لتأويل اقتضى ذلك الخطأ، فمن فعل من المعاصي، أو المكفرات ما يتصور جهل مثله به، أو ما يتصور وقوعه على جهة النسيان فإنه غير مؤاخذ.

✉ولكن عدم المؤاخذة ورفع القلم عن المذكورين لا يتناول الضمان في إتلاف أموال الناس، فهي مضمونة على من أتلفها على كل حال فالعمد والخطأ فيها سواء، قال ابن عبد البر في التمهيد: وقد أجمعوا على أن قوله عليه السلام رفع عن أمتي الخطأ والنسيان.. ليس في إتلاف الأموال وإنما المراد به رفع المآثم.

📃قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: (وإذا ثبت بالكتاب المفسر بالسنة أن الله قد غفر لهذه الأمة الخطأ والنسيان، فهذا عام عمومًا محفوظًا، وليس في الدلالة الشرعية ما يوجب أن الله يعذب من هذه الأمة مخطئًا على خطئه، وإن عذب المخطئ من غير هذه الأمة). وقال أيضا رحمه الله: (وكثير من الناس قد ينشأ في الأمكنة والأزمنة التي يندرس فيها كثير من علوم النبوات، حتى لا يبقى من يبلغ ما بعث الله به رسوله من الكتاب والحكمة، فلا يعلم كثيراً مما يبعث الله به رسوله ولا يكون هناك من يبلغه ذلك، ومثل هذا لا يكفر، ولهذا اتفق الأئمة على أن من نشأ ببادية بعيدة عن أهل العلم والإيمان، وكان حديث العهد بالإسلام، فأنكر شيئًا من هذه الأحكام الظاهرة المتواترة فإنه لا يحكم بكفره حتى يعرف ما جاء به الرسول).

📃وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: هناك فرق بين الجهل بالحكم وبين الجهل بالعقوبة، فالجهل بالعقوبة لا يعذر به الإنسان، والجهل بالحكم يعذر به الإنسان، ولهذا قال العلماء: لو

شرب الإنسان مسكراً، يظن أنه لا يسكر، أو يظن أنه ليس بحرام فإنه ليس عليه شيء، ولو علم أنه مسكر وأنه حرام، ولكن لا يدري أنه يعاقب عليه، فعليه العقوبة ولا تسقط عنه.

وقال ابن القيم: "وقد تقدَّم أن الذي قال لما وجد راحلته: اللهم أنت عبدي وأنا ربّك. أخطأ من شدّة الفرح، لم يكفر بذلك، وإن أتى بصريح الكفر، لكونه لم يرده".

وكذا كانت اليهود تؤذي رسول الله بقولهم له: (رَاعِنَا)، وقد قالها أصحاب النبي -ﷺ- من غير أن يقصدوا مقصد اليهود، فلم يكفروا لسلامة مقصدهم، وناداهم القرآن باسم الإيمان، فقال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [البقرة: 104] ، ومثل هذا السوء في القول يصدر يوم القيامة من آخر أهل الجنة دخولاً إليها، ففي صحيح مسلم (فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ – قَالَ – فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلأَى فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا أَوْ إِنَّ لَكَ عَشَرَةَ أَمْثَالِ الدُّنْيَا – قَالَ – فَيَقُولُ أَتَسْخَرُ بِي – أَوْ أَتَضْحَكُ بِي – وَأَنْتَ الْمَلِكُ » قَالَ لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ. قَالَ فَكَانَ يُقَالُ ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً. وهذا القول مستقبح، ولا يخاطَب به الله العظيم، ولكنه عفي عن قائله لفرط ذهوله.

وفي مجال الأيمان والحلف: فقد فرق الشرع بين من يحلف لغواً، وبين من يحلف وهو يدرك أنه يكذب في حلفه، قال الله تعالى: (لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ) [البقرة:225].

وفي مجال القتل: فرق الشرع أيضاً في الحد والعقوبة بين من يقتل امرأ عن طريق التعمد وبين من يقتله عن طريق الخطأ....

وليس هذا النهج الإسلامي الحكيم في مجال الأحكام والعبادات الشرعية وفقط، بل أيضاً في مجال المعاملات والأخلاق، ولقد طبق رسول الله -ﷺ- ذلك عملياً، فكان -ﷺ- يفرق بين الخطأ الذي يقع من أحد الناس عن طريق التعمد، وبين الخطأ الذي يقع عن غير قصد فيعذر صاحبه ويصفح عنه.

ولنضرب أمثلة على ذلك: الخطأ أو النسيان مثلاً في الصلاة، كشخص صلى الظهر فقام إلى الركعة الخامسة، فلو قام متعمداً لبطلت جميع صلاته من أولها إلى آخرها؛ لأنه زاد عن النص بغير نص وخالف الهدي فيحاسب على ذلك، لكن إذا قام إلى الخامسة نسياناً فلا تبطل صلاته، وقد وقع منه الخطأ والله لا يحاسبه عليه؛ ولذلك يجبر خطؤه بسجدتي السهو.

❁وأيضا ما روي من قصة حاطب بن أبي بلتعة، حين أرسل كتابا "إِلَى أُنَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- «يَا حَاطِبُ، مَا هَذَا». قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لاَ تَعْجَلْ عَلَىَّ، إِنِّى كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ، يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلاَ ارْتِدَادًا وَلاَ رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلاَمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- «لَقَدْ صَدَقَكُمْ». قَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ. قَالَ «إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ». صحيح البخاري، فقد عذره -ﷺ- لما علم من حسن نيته وسلامة قصده وعدم تعمد الخطأ.

❍والمسلم مطالب على كل حال أن يستغفر الله تعالى ويتوب إليه من الخطأ والعمد، لذا فقد كان من دعاء النبي -ﷺ-: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا أَخْطَأْتُ وَمَا تَعَمَّدْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا جَهِلْتُ وَمَا تَعَمَّدْتُ) رواه أحمد

إن علاج الخطأ، وإصلاح المُخطئ، لابد أن نسلك فيه سبيل محمد -ﷺ-، فله في علاج الخطأ السنن الثابتة، فإنه -ﷺ- تعامل مع الناس على اختلاف مستوياتهم، وفي مواضع كثيرة من حياته؛ بالرفق واللين، في إصلاح الأخطاء.

فمن معالم إصلاح الأخطاء في هديه -ﷺ-: استعمال الرفق مع المُخطئ في خطئه، حتى يزول ذلك الخطأ، فهو -ﷺ-رؤوف بأمته، رحيم بهم، يعز عليه ما يعنتهم: (لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) [التوبة: 128].

عالج الخطأ بالرفق واللين، والكلمة الطيبة، حتى ملك قلوب الناس: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ) [آل عمران: 159].

فهو القائل -ﷺ-: "إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيءٍ إِلاَّ زَانَهُ، وَلاَ نُزِعَ الرِّفْقُ مِنْ شَيءٍ إِلاَّ شَانَهُ".

وهو القائل -ﷺ-: "مَنْ حُرِمَ الرِّفْقَ حُرِمَ الْخَيْرَ كله".

وفي عهده -ﷺ- يحدثنا معاوية بن الحكم السلمي فيقول: " بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مع رَسولِ اللهِ -ﷺ-، إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ، فَقُلتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ فَرَمَانِي القَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلتُ: واثُكْلَ أُمِّيَاهْ، ما شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ علَى أفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ،

فَلَمَّا صَلَّى رَسولُ اللهِ -ﷺ-، فَبِأَبِي هو وأُمِّي، ما رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ ولَا بَعْدَهُ أحْسَنَ تَعْلِيمًا منه، فَوَاللَّهِ، ما كَهَرَنِي ولَا ضَرَبَنِي ولَا شَتَمَنِي، قالَ: إنَّ هذِهِ الصَّلَاةَ لا يَصْلُحُ فِيهَا شيءٌ مِن كَلَامِ النَّاسِ، إنَّما هو التَّسْبِيحُ والتَّكْبِيرُ وقِرَاءَةُ القُرْآنِ" صحيح مسلم.

⇦فانظر إلى هذا التعليم العظيم، والرفق بهذا المُخطئ؛ لأن الهدف إصلاحه واستصلاحه لا تأنيبه وتأديبه.

ومن معالم إصلاح الأخطاء في هديه -ﷺ-: أنه -ﷺ- كان يستعمل أسلوب القناعة للمُخطئ، حتى يتوب عن الخطأ قناعة، ليس المهم أن يترك هذا الخطأ في هذا اليوم؛ ولكن المهم أن يتركه للمستقبل، وأن يتركه عن قناعة، لا عن خوف، ولا تهديد، فكونه يتركه عن قناعة ومعرفة وتصور بأن هذا خطأ خير من أن يتركه خوفا، ثم يعود إليه ثانيا.

إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ -ﷺ- فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا. فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ قَالُوا: مَهْ مَهْ، فَقَالَ: ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، قَالَ: فَجَلَسَ. قَالَ: أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ؟ قَالَ: لا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لابْنَتِكَ؟ قَالَ: لا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ؟ قَالَ: لا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ: لا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟ قَالَ: لا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ. قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ". رواه أحمد

هكذا عالجه النبي -ﷺ-، واستوف الداء وأقر فيه الخير والصلاح والسلامة.

ومن معالم إصلاح الأخطاء في هديه -ﷺ- ومعالجته لها: أنه لا يواجه المخطئ أمام الناس بالتثريب عليه، ولا بعيبه ولا بسبه، ولكنه يوجه خطابا عاما، حتى يعرف فيه المُخطئ خطأه.

جاء نفر إلى بيوت النبي -ﷺ- يسألون عن هديه، فكأنهم تقالوا عمله، فقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فحمد الله وأثنى عليه، فقال: "ما بال أقوام قالوا كذا وكذا، لكنى أصلى وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني".

⇦فتوجيه الخطاب للعموم يفهم السامع المراد دون التشهير به، ودون الإضرار به.

ومن معالم إصلاح الأخطاء في هديه -ﷺ- وعلاجه لها: ارتكاب أخف المفسدتين بدرء أكبرهما، وأشدهما خطرا ومثال ذلك ما روي في البخاري (أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ -ﷺ- «دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»، فأمر النبي -ﷺ- أصحابه بترك هذا الأعرابي الجاهل حتى ينتهي من بوله، فلما انتهى أمر أن يراق على بوله ذنوبا من ماء فزالت المفسدة.

⇦لأن الشدة قد تصده عن الإسلام، لكن المصطفى رفق به، وبجهله، وعالج أخطاءه بتركه يكمل بوله، ثم وجه النصيحة إليه، فذهب مقتنعا بذلك.

ومن معالم إصلاح الأخطاء في هديه -ﷺ- ومعالجته لها: دلالة المخطئ على الوجه الشرعي، وتصحيح الأخطاء، كان -ﷺ- يقول: "إِذَا أَتَيْتُمُ الصَّلاَةَ وَأْتُوهَا تَمْشُونَ فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا".

وفي حديث أبي بكرة: أنه دخل المسجد والنبي -ﷺ- راكع، فركع قبل أن يصل إلى الصف، فقال له النبي -ﷺ-: "زادك الله حرصا، ولا تعد".

⇦فنهاه عن ذلك، وأمره أن يركع عند الصف، وأن لا يركع قبل الصف.⇦ولأن في ذلك مخالفة لقوله -ﷺ-: "إِذَا أَتَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَأْتُوهَا تَمْشُونَ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا".

ومن معالم إصلاح الأخطاء في هديه -ﷺ- ومعالجته لها: مراعاة طبائع الناس والغريزة التي في نفوسهم، فإن من طبيعة الضرات، شدة الغيرة على بعضهن، ونحو ذلك، فيعالج هذا الخطأ بالحكمة؛ لأن الغريزة أمر فطري، لا يستطيع الإنسان أن يتخلص منها، وكان -ﷺ- ذلك اليوم عند عائشة -رضي الله عنها-: فأرسلت أم سلمة للنبي -ﷺ-صحفة من الطعام، فلما رأتها عائشة -رضي الله عنها- ضربت الصحفة، حتى انكسرت، وانتثر طعامها، فقام النبي -ﷺ- وجمع الطعام، ولمَّ الصحفة، وقال: "غَارَتْ أُمُّكُمْ". ثم أخذ صحفة من عائشة سليمة، وأعطاها لأم سلمة، وقال: "إِنَاءٌ بِإِنَاءٍ، وَطَعَامٌ بِطَعَامٍ".

⇦فانظر إلى هذه الحكمة: أنه علم أن هذه غريزة في النفوس لابد أن تعالج بحكمة ورفق ولين.

📝وإذا تدبرنا كتاب الله وسنة رسوله -ﷺ- وجدنا لإصلاح الأخطاء آدابا:

❁فأول أدب: التثبت من الخطأ، فإن المتسرع في الإنكار على الناس، أو تخطئتهم بدون تروٍ وتبصر؛ يقع في الخطأ ولا بد: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا) [الحجرات: 6] أي: فتبينوا. (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَتَبَيَّنُواْ) [النساء: 94].

⇦فلا يجوز التسرع في تخطئة الناس بمجرد قول سمعته من غير روية، ولا تفكر فيه، بل عليك التثبت قبل أن تنكر، وقبل أن تحكم على الآخرين؛ تتثبت في مصدر القول، هل صح ما نسب إلى فلان أم لا؟ كن متثبتا في الأمر، وعالج بحكمة، إياك والتسرع في التخطئة والحكم على الناس بمجرد سماع قول قد لا يكون واقعا، يقول -ﷺ-: "بِئْسَ مَطِيَّةُ القوم زَعَمُوا"، ويقول -ﷺ-: "كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ".

⇦فإياك أن تتسرع في تخطئة الناس، والحكم عليهم، من غير تثبت ولا روية.

❁ومن الآداب أيضا: أن تحسن الظن بأخيك، وتحمل كلامه على الخير ما وجدت له سبيلا، يقول الله-جل وعلا-: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنْ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ) [الحجرات: 6]. ويقول -ﷺ-: "إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ".

❁ومن الآداب أيضا: أن ننصح المخطئ، ونوجه النصيحة له، نصيحة خالصة له، لعل الله أن ينقذه من خطئه، ويرده إلى الصواب، يقول -ﷺ-: "الدِّينَ النَّصِيحَةُ" قَالُوا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ".

ويقول جرير بن عبد الله: "بايعت رسول الله -ﷺ-على إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم".

❁ومن الآداب أيضا: الحكمة في التغيير، فلا تغير منكرا بمنكر أعظم منه، ولا خطأ بخطأ أعظم منه، بل تعالج الخطأ بما يناسب الوضع، ولا ترتكب خطأ لأجل خطأ، فالأخطاء لا تصلح بالأخطاء، وإنما يصلح الأخطاء بالصواب.

❁ومن الآداب أيضا: أن تستر على المخطئ، يقول -ﷺ-: "من ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة".

❁ومن الآداب: أن لا تتبع عيوب الناس وأخطائهم، يقول -ﷺ-: "يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِه، وَلَمْ يَدْخُلِ الإِيمَانُ إلى قَلْبَهُ لا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَمَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَاتِهِمْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ أخزاه ولو فِي جَوْفِ بَيْتِهِ".

❁ومن الآداب أيضا: أن لا تفرح بأخطاء المسلم، فإن فرحك بالخطأ نقص في إيمانك.

⇦فأخوك المسلم تحب له ما تحب لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك، فإياك أن تفرح بخطئه وزلاته، "من عير أخاه بذنب لم يمت حتى يفعله". فإياك أن تفرح بأخطاء الناس!

⇦افرح بصلاحهم وهدايتهم، إياك أن تفرح بأخطائهم، وتسر بأخطائهم، يقول الله -جل وعلا-: (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) [النور: 19].

⇦فالمسلم يحب لأخيه الصلاح والخير، والاستقامة والثبات، ويكره أن ينسبه لمعصية وخطأ، وإذا بلغه عنه ما يكره؛ عالج ذلك بالحكمة، والبصيرة والنصيحة، والتوجيه والكلام الطيب.

❍فلو سلكنا هذا المسلك في أمورنا كلها؛ لصلحت أخطاؤنا، واستقام حالنا.

❍وأعظم مسؤولية على الآباء إن علينا مسئولية كبيرة في إصلاح أخطاء الأبناء منذ الصغر، وذلك بتعويدهم على الخير، وتربيتهم عليه، وتحذيرهم من الشر أو من أي قول سيء تكلموا به.

❍كذلك المربون من المعلمين والمعلمات: عليهم تقوى الله، وإصلاح أخطاء الأبناء والبنات، بكل وسيلة ممكنة، والتربية على الأخلاق والقيم، والأقوال الطيبة، والسلوك الحسن.

❍المفتون والعلماء، عليهم تقوى الله في أنفسهم، والرفق بم يستفتيهم ويسألهم، فيوجهونه إلى الخير، ويحثونه على الخير، ويهدونه إلى الطريق المستقيم، ويفتونهم بما يحفظ دينه، ويقوي إيمانه وإسلامه.

❍قد نجد أخطاء من الأزواج، فنعالج ذلك بالحكمة، ونعالج أخطاء الجيران، وأخطاء الزملاء، وأخطاء المتعاملين، وأخطاء من أخطأ علينا، بحكمة وبصيرة، كل ذلك من العمل الحسن.

فمن أراد الخير والإصلاح، فليتقِ الله في إصلاح الأخطاء، ولا يكون هم الإنسان الانتصار لنفسه، والتعالي على الآخرين، وإنما يكون همه الإصلاح والاستصلاح، والتوجيه والدعوة الصادقة، والنصيحة النافذة.

⇦من عنده نصيحة لأخيه فليتصل به شفويا، وليناصحه. أما ملئ هذه المواقع بالأحقاد، والكلام السيئ، والشتائم، وغير ذلك، فهو أمر غير لائق بالمسلم.

⇦المسلم ليس بالسباب، ولا باللعان، ولا بالفاحش، ولا بالبذيء.

⇦المسلم ناصح وموجه وداع إلى الخير، لا فارح بالخطأ، ولا متسبب للخطأ.

✋يجب أن نكون أمة واحدة، وصفا واحدا، نعالج قضايانا ومشاكلنا بحكمة وبصيرة، يشد بعضنا أزر بعض، ويقوي بعضنا بعضا.

⇦وإذ حدث خطأ، فعلينا بعلاج أسبابه، ومراعاة الآداب المطلوبة، فلنتق الله في أنفسنا، ولنصلح أخطاءنا، وليفرح بعضنا في صلاح بعض، ولينصح كل منا صاحبه.

📁نحن في زمن مستهدفون فيه في الدين والأمن، والأخلاق والقيم، فلا بد أن نعيد أمرنا، وأن نقوي رابطتنا، وأن نستغل كل إمكانياتنا في وحدة صفنا، واجتماع كلمتنا وأهدافنا، وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه.

المراجع:

❶ إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه عبد العال سعد الشليّه

❷خطبة عن: الخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ.

❸إصلاح الأخطاء: عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ.